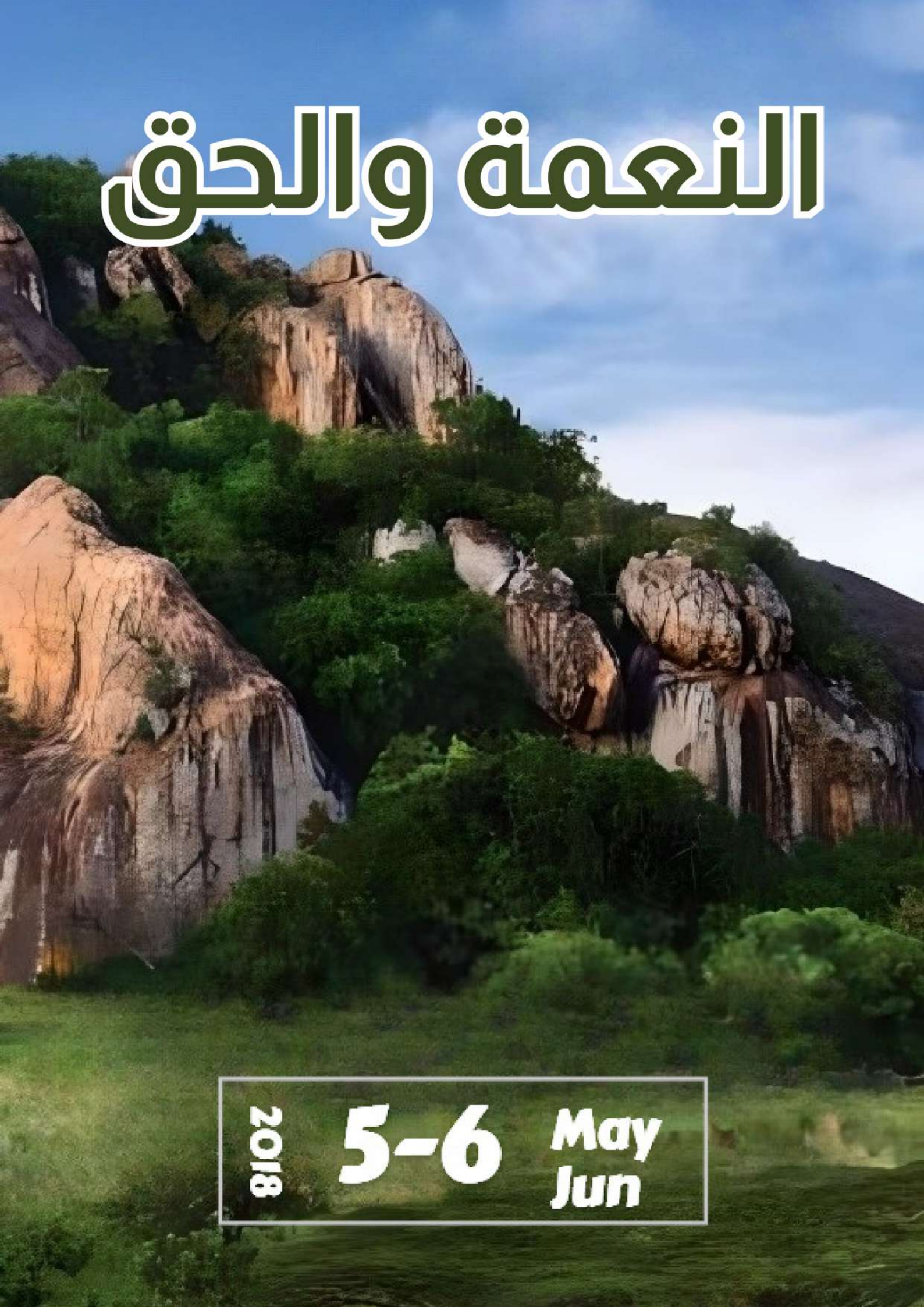
النعمة والحق
May
Jun
5-6
2018

النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة السادسة والعشرين

مايو ويونيو

العدد ١٥٣

في هذا العدد :

افتتاحية العدد		١
موضوع العدد	ماهي التقوى	٢
موضوع العدد	موارد التقوى في أزمنة الخراب	٤
موضوع العدد	لزوم التقوى	٧
الأخبار السارة	بين سر التقوى، وصورة التقوى	١١
شخصية كتابية	حياة موسى	١٢
تأملات هادئة	----	٣٠
تأملات هادئة	----	٣١
خواطر شعرية	علمتني التقوى	٣٢
من روائع الكلمة	هللويا .. ها أنا آتي سريعًا	--

هنالكفارق بين سر التقوى، وصورة التقوى فهل تعرَّفت على "سر التقوى"

❁

اقرأ الأخبار السارة ص١١

- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ١٥ جنيهاً أو ما يوازي ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gtmag@ilovejesus.net
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١ - الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملاً.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢٧٤٠٣٥ - الإسكندرية (٠٣).

التقوى

لقد عرَّف احدهم التقوى بأنها الله متداخلاً في كل أمورنا وفي كل تفاصيل حياتنا. ويقينًا عندما ندعو الرب للتداخل في حياتنا فإنه سيظهر قوته وحكمته في كل ما نفعله أو يصدر منا. ونحن نعلم أن هذا لم يتحقق بكماله وسموه إلا في إنسان واحد هو المسيح، من ميلاده المعجزي حتى قيامته المجيدة: في خضوعه المطلق لأبيه، وطاعته الكاملة لله، في تحركاته وسكناته على السواء. فهو الذي عنه قال الرسول بولس: «وَبالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى» (١تي٣: ١٦). كما بطول حياته على الأرض «وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تقْوَاهُ» وعندما مات فإن الله لم يدع تقيه يرى فسادًا.

التقوى هي توجه قلب القديس نحو الله

نحن الآن نعيش في أيام انتشار صورة التقوى مع إنكار قوتها، ولذلك فإننا نحتاج فوق كل شيء أن نروض نفوسنا للتقوى. والتقوى ليست واحدة من الصفات الإلهية كالقداسة والبر، بل إنها توجه قلب القديس نحو الله، تعطي الله مكانه في قلب هذا الشخص وفكره وعمله، هذا الشخص يعطي المهابة والإجلال اللذين هما جديران بالله. وبلا شك نحن في أمس الاحتياج إلى هذه التقوى في أيامنا الأخيرة هذه.

ماهي التقوى!!

معنى التقوى:

التقوى هي مصدر في اللغة من الفعل يتقي والذي يعنى حرفيًا يخشى أو يهاب. والكلمة اليونانية التي وردت في العهد الجديد تعنى الإكرام والتوقير (١تي٥: ٤)، وفي ارتباطها بالله وردت بمعنى العبادة (أع١٧: ٢٣) وفي اللغة الإنجليزية هناك عدة كلمات تشير إلى التقوى وترجمت كذلك إلى العربية. وهي *piety* ومنها *piouslypous* وأيضًا *Godliness* ومنها *Godly* وأخيرًا *Rever* ومنها *Reverence,Reverenced* .

أما مخافة الرب فهي تقترب كثيرًا من معنى التقوى إذ تعبر عن الهيبة والاحترام. وهناك فارق واضح بين الخوف من الله، ومخافة الله. فالأولى أمر سلبي يدل على مذنوبيه الخائف، وهنا يأتي الشيطان في مقدمة الخائفين من الله (يع٢: ١٩). أما الثانية فهي لا تعني الخوف الطبيعي الذي يؤثر في مشاعر الإنسان فتجعله يتصبب عرقًا مثلاً أو يفزع أو تزداد ضربات قلبه...الخ، بل هو أمر إيجابي يحمل مشاعر السلام والطمأنينة في النفس، مع احترام الله والشعور بحضرته دائمًا. وهذا هو المعنى الذي نتحدث عنه.

التقوى: هي الإكرام والتوقير اللائقان بالله، الأمر الذي ينعكس في الممارسة العملية للفضائل الأدبية كلها مثل الاتضاع والطاعة والشكر، والاتكال، والسهر،

والصحو....الخ، إنها العبادة المسيحية في كل صورها ومجالاتها الصحيحة ذات المصدر الإلهي.

مخافة الرب: هي احترام الله ومهابته، اعتباره في كل نواحي الحياة: في الفكر والقول والعمل، أو هي العيشة في نور محضره وهي قريبة جدًا من التقوى، ويمكننا اعتبارها أقرب مظاهرها وأوضحها. فالتقي هو شخص يخاف الله...والخائف الله هو شخص تقي. وفي الكتاب المقدس يرد التعبيران أحيانًا بذات المعنى (انظر مثلاً أع ١٠: ٢). وفي ترجمات الكتاب المختلفة كثيرًا ما يُترجم التعبير الواحد في لغة إلى مخافة الرب مرة، والتقوى مرة أخرى في اللغة المقابلة. ولذلك، فسوف نعتبر كلا التعبيرين واحدًا في سياق بحثنا من الآن فصاعدًا.

نلاحظ أن التقوى لا تعني فقط عدم فعل الخطية سلبيًا، بل هي عملية إيجابية تشمل كل تفاصيل الحياة بأسرها في ممارستها وفي تأثيرها. «فَسِيرُوا زَمَانَ غُرْبَتِكُمْ بِخَوْفٍ» (١بط١: ١٧).

ومما يذكر أن كلمة الله لا تتحدث قط عن التقي باعتباره شخصًا عابس الوجه، أو معقدًا....الخ كما سنرى بالتفصيل عن حديثنا عن مظاهر التقوى الحقيقية، وبركاتها التي من بينها الفرح والابتهاج.

موضوع العدد

هاملتون سميث

موارد التقوى في أزمنــــة الخراب

مصادر التقوى في مواجهة الشر:

(٢تي٣: ١٠-١٧) في النصف الأخير من الأصحاح نتعلم مـن هـذا الجزء الـذي يمـدنا بغـني وفير كيف الأمان العظيم ضد كل ما هو خاطئ يكون في معرفة كل مـا هـو حـق. لهذا أمكن للرسول أن يقول لتيموثاوس «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ تَبِعْتَ (أو عـرفت تمامًا) تعْلِيمِي، وَسِيرَتِي، وَقَصْدِي، وَإِيمَانِي، وَأَنَاتِي، وَمَحَبَّتِي، وَصَبْرِي، وَاضْطِهَادَاتِي، وَآلاَمِي». ولـيس من الضروري تحتم معرفتي التامة للشر. بل بمعرفة الحق نستطيع أن نتبين ما هـو خطأ وما هو مضاد للحق. وعندما نتبين الشر فإن التحريض ليس بأن ننشغل به بل بأن نعرض عن أولئك الـذين يسيرون فيـه. والحق مطروح أمامنـا في تعليـم الرسـول الذي نجده في رسائله ويمكن تلخيصه في أنـه الاسـتبعاد التـام للإنسـان وهـو في الجسـد بسبب خرابه الكامل ووجوده تحت سيادة الموت، كـذلك دينونـة الإنسان العتيـق في صليب المسيح واستحضاره الإنسان الجديـد في الحيـاة والخلود في المسيح المقام والممجد، والـتي أصبح المؤمنـون فيهـا مـن اليهـود والأمـم متحـدين معًـا في جسـد واحـد بـالروح القدس.

وأمكن للرسول بولس أن يقول لتيموثاوس عن هذا التعليم «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ تبعْت». فبقدر ما نتعلم وندخل تمامًا إلى تعليم بولس بقدر ما نكون أكثر تحديدًا في أن نتبين هذه الشرور في الأيام الأخيرة ونتحول عنها.

وثانيًا أمكن للرسول أن يحتكم إلى أسلوب حياته أو «سيرته» فقد كانت حياته في تمام التوافق مع التعليم الذي يعلم به وبلا شك فقد كانت هناك مباينة أشد ما يمكن بين الرسول والمعلمين الاشرار الذين يتكلم عنهم. فقد كان حمقهم واضحًا كما كانت حياتهم تكشف عن التضاد الهائل للتقوي التي كانوا يعترفون بها. وقد تبين للجميع أن اعترافهم بصورة التقوى لم تكن لها قوة على حياتهم. ولكن ما أبعد الفارق مع الرسول. ففي تعليمه أعلن الدعوة السماوية للقديسين، وكانت «سيرته» أو أسلوب حياته في تمام التوافق مع تعليمه إذ كان غريبًا ونزيلاً لأن سيرته (أو مواطنته) في السماء. إنها الحياة التي كان يحكمها الغرض أو القصد عن الرسول، فعاش «بالإيمان» مظهرًا صفة المسيح في كل «أناة» و«محبة» و «صبر» و «آلام» و «اضطهادات».

ولذلك فإن الأمان العظيم من شر الأيام الأخيرة يكون أولاً في معرفة الحق، وثانيًا في الحياة التي تتوافق مع الحق. وثالثاً، في مؤازرة الرب لنا. وفي هذه استطاع بولس أن يشهد في اختباره الشخصي وهو يتحدث عن الالآم والاضطهادات التي تغلغلت في حياته، وأمكن أن يقول «ومن جميعها أنقذني الرب». فإذا اجتهدنا أن نعرف التعليم، وتم إعدادنا لكي نحيا حياة متوافقة مع هذا التعليم، عندئذٍ سنتحقق من مؤازرة الرب. ولربما يتركنا الآخرون

كما فعلوا مع الرسول، حتى أن الناس تظن أننا نتخذ موقفًا متشددًا وأننا نرفض الحلول الوسطية، ولكن إذ ندافع عن الإيمان سنجد أن الرب يقف معنا كما وقف معه، وأن الرب يقوينا كما قواه، ويُمكننا في إعلان الحق وينقذنا من فم الاسد ومن كل عمل رديء ويخلصنا لملكوته السماوي كما فعل معه (٣: ١١، ٤: ١٧، ١٨).

(ع١٢، ١٣). وثالثًا يذكرنا بمدى حاجتنا إلى مؤازرة الرب لنا، إذ يأتينا التحذير أن «وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ» أما صور الاضطهاد فتتباين مع الأزمنة المختلفة والأماكن المختلفة، ولكن الحقيقة تبقى أن من يريد أن ينفصل عن شرور المسيحية ويجتهد للتمسك بالحق فإنه يجب أن يعد نفسه للإهانات والأذى والترك وحيدًا. وإلا فكيف نجد في المسيحية ذاتها «النَّاسَ الأَشْرَارَ الْمُزَوِّرِينَ سَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَرْدَأَ، مُضِلِّينَ وَمُضَلِّينَ»؟

(ع١٤) ورابعًا في مواجهة الشر فإن التقي يجد الأمان والمؤازرة بثباته في ما تعلمه من الرسول. ولذلك يكتب إلى تيموثاوس «وَأَمَّا أَنْتَ فَاثْبُتْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيْقَنْتَ، عَارِفًا مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ». وهنا نجد لثالث مرة في هذا الجزء القصير من رسالة بولس أنه يؤكد أهمية، ليس فقط أن تمتلك الحق بل في نواله من مصدر الوحي الذي نتمسك به بيقين كامل (أنظر ١: ٣، ٢: ٢).

وبالاختبار تبرهن أيضًا أن المؤمنين ليس بمقدورهم مواجهة الشر لأنهم ليسوا متيقنين تمامًا من هذا الحق. ونحتاج في مواجهة الشر خاصة الشر المتزج بالحق أن يكون لدينا تأكيدًا مطلقًا بأن ما تعلمناه هو الحق، وهذا اليقين يمكن أن نمتلكه بمعرفة الرسول الذي سلمنا الحق والذي تحدث بسلطان الوحي. إلا أنه ليس هناك معلم يمكنه أن يتكلم بسلطان الوحي، إذ عليه أن يوجهنا إلى كتابات الرسول الموحى بها إذا كان علينا أن نتمسك بالحق في الإيمان واليقين. في مواجهة الأشرار والمزورين

الذين يتقدمون إلى أردأ ويستحضرون أشكالاً جديدة للشر، فإنه علينا أن نتحذر جيدًا من الذين ينادون بأفكار جديدة لكي نثبت فيما تعلمنا.

(ع١٥-١٧) ولذلك فإن الأمان في النهاية ضد الشر هو في وحي الكتب المقدسة وكفايتها أما الناس فلا تكف عن النظريات الجديدة والمتغيرة والتي لا تنتهي، ولكن في الكتاب المقدس لنا كل حق نافع ومحفوظ في صيغة دائمة، محروسة من الشر بالوحي، ومستحضرة لنا بسلطان إلهي.

وبلا شك فإن الكتب المقدسة التي عرفها تيموثاوس منذ طفولته كانت هي أسفار العهد القديم، ولكن إذ يقرر الرسول أن «كل الكتاب هو موحى به من الله»، فإن ذلك يتضمن العهد الجديد مع كل الكتابات الرسولية. ونعرف أن بطرس يضع كل رسائل بولس مع الكتب الأخرى (٢بط٣: ١٦).

وعلاوة على ذلك فإنه يضع أمامنا الفائدة العظيمة للكتاب. فأولاً تعطينا المقدرة أن نكون حكماء للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع، وثانيًا فهي تقودنا إلى المسيح لنجد فيه الخلاص لنكتشف أن كل الكتاب هو نافع للمؤمن، كما أن ناموس موسى والأنبياء والمزامير نجد أن فيها أمورًا تختص بالمسيح (لو٢٤: ٢٧، ٤٤).

كذلك كم يكون مفيدًا الكتاب للتوبيخ وللأسف قد نكون في عمى تجاه أخطائنا أو قد ننحصر في ذواتنا فنصم آذاننا عن اعتراضات الآخرين ولكن لو خضعنا للكلمة سنجد أن الكتاب يستحضر لنا التوبيخ لأنها «كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ» وفضلاً عن ذلك فإن الكتاب لا يدين فقط ولكنه نافع أيضًا للتقويم، وليس التقويم فحسب بل التأديب أو تعليمنا الطريق الصحيح، وإنسان الله يمكنه بكتابات الوحي أن يُبنى في الحق لمواجهة الشر المتزايد ليكون «كَامِلاً، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ» في اليوم الشرير.

موضوع العدد

لزوم التقوى

في كلمة الله هناك ما يقرب من ٥١ آية تتحدث عن أهميتها من الوجهة الايجابية، وكثير من هذه الآيات وردت في صيغة الأمر المباشر من الله للتحريض على التقوى ومخافة الرب. وهذا يدفعنا للتساؤل هل التقوى لازمة إلى هذا الحد؟ ولماذا؟ ونحاول أن نجيب عن هذا السؤال الأخير باختصار شديد في النقاط الثمانية التالية:

إن غرض أعمال الله معنا هو أن ينشئ المخافة لشخصه في قلب الإنسان

التقوى لازمة لأنها:

١. تليق بالله:

«مَنْ لاَ يَخَافُكَ يَا مَلِكَ الشُّعُوبِ؟ لأَنَّهُ بِكَ يَلِيقُ(أي تليق المخافة أو المهابة) لأَنَّهُ فِي جَمِيعِ حُكَمَاءِ الشُّعُوبِ وَفِي كُلِّ مَمَالِكِهِمْ لَيْسَ مِثْلَكَ» (إر ١٠: ٧) والرب نفسه يؤكد ذلك بالقول «الابْنُ يُكْرِمُ أَبَاهُ، وَالْعَبْدُ يُكْرِمُ سَيِّدَهُ. فَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَبًا، فَأَيْنَ كَرَامَتِي؟ وَإِنْ كُنْتُ سَيِّدًا، فَأَيْنَ هَيْبَتِي(أو مخافتي)؟» (ملا١: ٦)

إن المخافة لائقة به في شخصه، لشخصه، وأيضًا «لأَنَّ عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ. لِكَيْ(يخافوك)» بحسب ترجمة داربي (مز١٣٠: ٤).

٢. غرض الناموس كله

إن وصايا الناموس التي بلغت - كما أحصاها أحد المعلمين - ٦١٣ وصية يمكن تلخيص غرضها كلها في كلمة واحدة هي التقوى!

«فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ، مَاذَا يَطْلُبُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلهُكَ» ثم يستطرد ليُعلن جانبًا من مظاهر هذه التقوى فيقول « لِتَسْلُكَ.... وَتَحْفَظَ...الخ» (تث١٠: ١٢). وهذا جميعه «لِخَيْرِكَ» (ع١٣)!

٣. غرض الحق والتعليم المسيحي كله

من ضمن مظاهر التقوى الاهتمام بالحق والتعليم المسيحي. ويمكننا أن نضيف الآن أن غرض الحق والتعليم يتلخص أيضًا في كلمة واحدة هي التقوى!

«الحق الذي هو حسب التقوى» (تي١:١)؛ «التعليم الذي هو حسب التقوى» (١تي٦: ٣).

٤. غرض أعمال الله كلها

فكل أعمال الله - دون استثناء - إنما غرضه من ورائها أن ينشئ المخافة لشخصه في قلب الإنسان، كما هو مكتوب «قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ اللهُ أَنَّهُ يَكُونُ إِلَى الأَبَدِ. لاَ شَيْءَ يُزَادُ عَلَيْهِ، وَلاَ شَيْءَ يُنْقَصُ مِنْهُ، وَأَنَّ اللهَ عَمِلَهُ حَتَّى يَخَافُوا أَمَامَهُ» (جا٣: ١٤).

٥. هدف تجسد المسيح وعمله العظيم

لقد تجسد ربنا المعبود ليوجد التقوى في الإنسان؛ ليعيد إليه مخافة الله التي فقدها بالسقوط في الخطية. «وَبالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تبَرَّرَ فِي

الرُّوحِ، تراءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ» (١تي٣: ١٦).

٦. مصدر قلق وفزع للشيطان

راجع سفر ايوب لترى كم أمتلأ قلب الشيطان حقدًا على أيوب لسبب تقواه! وكم أقلقته وأزعجته هذه التقوى حتى أنه ذهب إلى حضرة الرب ليقول له «هل مجانًا يتقي أيوب اللهَ؟!» (راجع أي١: ٦-١٢) لقد جعل الشيطان قلبه على عبد الرب أيوب لا لشيء إلا أنه يخاف الرب! الشيطان بصفة عامة يحاول جاهدًا التقليل من شأن التقوى في أذهان الناس، وليس عنده مانع أن يضع المؤمنون قبلها أمورًا مقدسة كالخدمة مثلاً أو أي نشاط ديني آخر. واليوم ما أكثر الخدمة والنشاط! وما أقل التقوى في الوقت نفسه!

٧. نافعة لكل شيء

«لأَنَّ الرِّيَاضَةَ الْجَسَدِيَّةَ نافِعَةٌ لِقَلِيل، وَلكِنَّ التَّقْوَى نافِعَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، إِذْ لَهَا مَوْعِدُ الْحَيَاةِ الْحَاضِرَةِ وَالْعَتِيدَةِ» (١تي٤: ٨). ليفكر معي القارئ العزيز دقائق قليلة: هل هناك شيء في الوجود يمكن أن نقر بأنه نافع لكل شيء بخلاف التقوى؟!

٨. حتمية في الأيام الأخيرة

إن كانت التقوى لازمة في كل عصر، فإنها حتمية بالأخص في الأيام الأخيرة التي تتميز بالارتداد وكثرة الشر، الأمر الذي نقرأ عنه في آخر العهد القديم (ملا٣: ١٦-١٨) وعن الأيام الأخيرة في العهد الجديد (رسالة تيموثاوس الثانية على سبيل المثال).

بين سر التقوى

وصورة التقوى

فارق شاسع بين حقيقية الشيء وصورته! فارق ضخم بين صورة الشخص الذي ربما لم يعد موجودًا بعد وبين حقيقته وصورته بشحمه ولحمه؛ في رسالة تيموثاوس الأولى ص٣ تحدث الرسول بولس لابنه في الإيمان عن «سر التقوى»...شخص المسيح له المجد. لكن في رسالته الثانية إليه وأصحاح ٣ أيضًا حدثه عن «صورة التقوى» في الأيام الأخيرة والصعبة.

إن المسيحية وقد وصلت إلى دورها الأخير في رحلتها، إلى حالة لاودوكية (رؤ٣)؛ فإنها قد أخرجت المسيح خارج الباب فلم يعد له مكان في الداخل بصفة الإجمال، فالمقاعد في الداخل مشغولة بالإنسان الذي وصل في قياس أيامنا إلى صورة من التأليه غير المقبول أما المسيح فهو واقف على الباب...ويقرع! إنه باب الكنيسة...وباب قلبك كذلك.

أيها القارئ العزيز...فهلا فتحت له الباب ليدخل؟

واعلم أنه إذ يدخل المسيح القلب والحياة، البيت والكنيسة فإنه يحول المظهر إلى جوهر ويحول الصورة إلى حقيقة ويحول الحقائق إلى حياة معاشة. ولكن اعلم أيضًا أنه إذ يدخل مجالاً فهو لا يرضى بأقل من أن يكون هو السيد الوحيد...فهل تسيده على حياتك؟ ليتك تفعل فغير ذلك خسران حاضر وندم أبدي.

حياة موسى

موسى يقف أمام الله نيابة عن الشعب

«كُنْ أَنْتَ لِلشَّعْبِ أَمَامَ اللهِ، وَقَدِّمْ أَنْتَ الدَّعَاوِيَ اللهِ» (خر١٨: ١٩)

عندما غادر جماعة اسرائيل رفيديم بدأوا يصعدون من شاطئ البحر الى قلب سلسلة جبال سينا. وكان طريقهم يشبه سُلمًا صخريًا. كان عمود السحاب يسير أمامهم، يقودهم إلى حيث لا يعلمون. لقد عرفوا فقط أنهم ليس أمامهم الا أن يتبعوه، طالما كان المن والماء يتوقفان على الطاعة المطلقة لتحركاته. ارتفعت الصخور على كلا الجانبين كأسوار، لهيكل عظيم، اذ كانوا يسيرون الى قُدس الأقداس الذي كان قريبًا منهم. في هذا الطريق تمت الحادثة المُدوّنه في هذا الإصحاح. لأن هذه العبارة: «عِنْدَ جَبَلِ اللهِ.» (ص١٨: ٥) تشير على الأرجح الى كل المنطقة.

تسير الأنباء في الصحراء بسرعة البرق. ولقد كانت كل الأنباء بتفاصيلها تصل الى الكاهن الشيخ الرابض في مديان، فعلم بسلسلة الحوادث العجيبة جدًا التي كان بطلها امرأة موسى وابنيها الذين كانوا قد أودعوا عنده للعناية بهم، وأحضرهم إلى موسى. وبعد التحية الشرقية المعتادة تحادثا طويلاً عن الطريقة العجيبة التي قاد بها الرب شعبه. وختم النهار بوليمة عظيمة "وذبائح لله". ويبدو أن اليوم التالي كان يوم راحة. فعمود السحاب ظل ثابتًا لا يتحرك. وفي هذا اليوم تمت حادثة كانت تنتظرها نتائج جوهرية في تاريخ ذلك القائد العظيم، وفي تاريخ الشعب الذي كان

يقوده. «وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ مُوسَى جَلَسَ لِيَقْضِيَ لِلشَّعْبِ. فَوَقَفَ الشَّعْبُ عِنْدَ مُوسَى مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ» (ع١٣).

تصرفات موسى التي تعوقها

هنا نجد فجأة لمحة عن نوع الحياة التي كان يحياها موسى وقتئذ، عندما كانت الجماعة تحط رحالها، ويأتي يوم يستريحون فيه من تعب المسير، يبدو أنه كان يجلس على كرسي القضاء، فيلجأ إليه كل الشعب، كل المتنازعين والمتخاصمين، وكل من لديهم أمور يطلبون من أجلها استشارة إليه. وبالرغم من كل تذمراتهم، فإنهم كانوا يتطلعون إليه كمن ينطق بصوت الله، وكانوا يطلبون من فمه إعلان عن إرادة الله. عندما كان الشعب يستجد لديه أي أمر كان يأتي إليه «ليسأل الله» - حسب تعبيره هو - وأما هو فكان يعرفّهم: «فَرَائِضَ اللهِ وَشَرَائِعَهُ» (ع١٥، ١٦).

كان هذا عملاً الهيًا، كافيًا لاستخدام أسمى مواهبه والانتفاع بمميزاته التي ظلت مكبوتة في داخله سنوات طويلة، لأنه أي شيء أسمى في هذا العالم من أن يخدم المرء مثل «وَسِيطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ لِيُعْلِنَ لِلإِنْسَانِ اسْتِقَامَتَهُ»* حسب تعبير أيوب (أي٣٣: ٢٣)، وأن يستمع إلى صعوبات ومشاكل وارتباطات المتألمين والمتعبين، ويسأل الله من

* أو "ما هو مستقيم ليسلكه" حسب الترجمة الإنكليزية.

أجلهم، ويأتي بقضاياهم الى عرشه ليعلم حكمه، وأن يلجأ إلى رحمته طالبًا منه العون، ويعود إليهم ليعلمهم، ويبين لهم الطريق الذي يسلكونه والعمل الذي يعملونه. هذه خدمة تليق باللائكة المتلئين محبة وعطفًا ورقة، وهي من بعض النواحي تشبه خدمة الفادي.

لم يقم موسى بخدمة الوساطة (الشفاعة) المباركة هذه ككاهن، لأن وظيفة الكهنوت لم تكن قد تأسست بعد، بل كشخص نبيل متسع القلب، أفرغ من نفسه، له أذن الله، يقوم «لِلشَّعْبِ أَمَامَ اللهِ». وهذا يفتح مجالاً عظيمًا للخدمة أمامنا أجمعين، لاسيما أمام من لهم دالة أمام ملك الملوك، وتعودوا الوقوف أمام عرشه. لماذا لا تكون لنا فرصة أعظم للإشتراك مع موسى في هذه الخدمة الجليلة المفتوحة أمام ذي اللسان الألكن؟ مثل ما هي مفتوحة أمام ذهبي الفم، إن الفرصة مهيأة أمام المواهب التي لا تميل إلى الإعلان عن نفسها، بل تنفر من أن يراها الناس.

اننا لنتخيله ذاهبًا إلى الله كل يوم بقائمة طويلة من الأسئلة المقدمة إليه من أفراد الجماعة المختلفين. كان يضع هذه القضية أو تلك أمام الله طالبًا المشورة، كما كان يقدم أسماء أصحابها وظروفهم، والحجج والمبررات لكل حالة، وينتظر الرسالة التي يعود بها ليقدمها إليهم، بالتنوع القضايا، يا لاستقامة الإجابة، يا للثقة المطلقة التي سادت صلواته. لابُد أنه قد تحقق بوضوح تام أنه شريك للعلي، وعامل معه، ومشترك معه في حمل النير، وأنه هو والله تعنيهما مصلحة الشعب الذي أحباه. ولماذا لا نبدأ نحن أيضًا نحيا هذه الحياة؟ إن الصوت الذي كلم موسى يكلمنا نحن أيضًا ويقول: «كُنْ أَنْتَ لِلشَّعْبِ أَمَامَ اللهِ وَقَدِّمْ أَنْتَ الدَّعَاوِيَ إِلَى اللهِ» (ع١٩). والأبواب التي اجتازها مرارًا وتكرارًا لا تزال مفتوحة أمامنا نهارًا وليلاً.

كثيرًا ما نعجب بذلك الخادم الذي كان يصرف ثلاث ساعات كل يوم في الصلاة والتأملات. والخادم الآخر الذي كان يقضي خمس ساعات في شركة مع الله، أو الخادم الثالث الذي انقضى اليوم ولم يصرف فيه ثمان أو عشر ساعات في شركة عميقة مع الله يعتبر بأنه قد انقضى عبثًا.

قد يبدو لنا بأن الصلوات الطويلة تستدعي حتمًا الملل والسأم بسبب التكرار الباطل. ونحن ننسى أن المرء اذا ذهب الى السوق محملاً بطلبات كثيرة من أجل جيرانه وأصدقائه يصرف وقتًا أطول مما لو ذهب من أجل حاجياته الشخصية فقط. فجميل جدًا إذا كانت حاجيات الآخرين تؤخرنا طويلاً أمام الرب ولقد صار وقوف موسى هذا أمام الله من أجل الشعب مميزًا لحياته أكثر فأكثر. فكلما صرخ الشعب إليه صلى هو إلى الرب. وعندما كانت روح الثورة تنتشر في المحلة كان هو يسقط على وجهه. وعندما كان يبدو أن الشعب كله مهدد بالهلاك من أجل خطيتهم كان يقف هو في الثغرة، ويتوسل إلى الرب، فيُحوّل عنهم الهلاك الذي كان مسلطًا فوق رقابهم. وفي مرتين متتاليتين تأخر في الجبل المقدس أربعين يومًا من أجلهم، وبعد وفاته بسنوات طويلة ذُكِر اسمه مع صموئيل، كشخص واقف أما الله يتشفع من أجل شعبه.

أليس هذا رمزًا جميلاً للرب يسوع المسيح، مع الفارق العظيم والهوة السحيقة بين الاثنين؟ «وَمُوسَى كَانَ أَمِينًا فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ... وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَابْنٍ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ» (عب٣: ٥، ٦) وكل ما فعله موسى يفعله الرب يسوع وأكثر منه. عندما تكون لنا قضية يجب أن نلجأ إليه. هو يتراءى ويشفع فينا أمام الآب. باسمه يجب أن نقدم طلباتنا لله. وهو يعلمنا فرائض الله وشرائعه، ويعلمنا الطريق الذي نسلكه والعمل الذي نعمله.

إجهاد قوة موسى:

لا يمكن أن يتم عمل كهذا دون اتفاق عنيف من كل ما هو حيوي للإنسان، انه يُجهد العواطف، والعقل، ويُتعب القلب اذ يحمل بالانزعاجات والأحزان، ويثقل كاهل المرء بأثقال واحتياجات وهموم النفوس المتعبة الحائرة. لا تستطيع أن تربح الآخرين وتربح ذاتك في نفس الوقت. والقوة لا يمكن أن تخرج لكي تشفي دون أن تحس بالإجهاد. وأنت لا تستطيع أن تعزي الآخرين إلا بعد أن تعرفهم جيدًا، ولا يمكنك أن تعرفهم إلا بعد أن تنفُق من أجلهم. والمجهود اللازم لإتمام هذا يكلفك كثيرًا. من أجل هذا رأى يثرون، بحكمته وثقب نظره وعطفه ومحبته، أن موسى والشعب يكلون ويعيون في محاولته إجابة كل طلباتهم.

ويبدو أن موسى أحس فيما بعد بثقل العبء «فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى عَبْدِكَ وَلِمَاذَا لَمْ أَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ حَتَّى أَنَّكَ وَضَعْتَ ثِقْلَ جَمِيعِ هذَا الشَّعْبِ عَلَيَّ أَلَعَلِّي حَبِلْتُ بِجَمِيعِ هذَا الشَّعْبِ أَوْ لَعَلِّي وَلَدْتُهُ، حَتَّى تَقُولَ لِي احْمِلْهُ فِي حِضْنِكَ كَمَا يَحْمِلُ الْمُرَبِّي الرَّضِيعَ، إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفْتَ لآبَائِهِ» (عد١١: ١١، ١٢). لم يكن موسى يحس بثقل الحمل وقتئذ عندما كلمه يثرون، لأن المهمة كانت جديدة بالنسبة له، لكنها مع ذلك كانت تمتص قوته. وهذا ما لاحظه يثرون.

نحن لا نستطيع أن نرى دوامًا النفقة التي نتكبدها في اتمام عملنا والذي يعضدنا ويشجعنا فيه هو اهتمامنا به، ولذتنا بأدائه. إن الحركة والهجوم، وصراخ المحاربين، وفرص الموقعة الحربية، واغراءات النُصرة، والأمل في كسب المعركة بمجهود واحد إضافي - كل هذه تخفي عنا مقدار ما ننفقه من مجهود، الأمر الذي لا يراه إلا الآخرون. بعض الأشخاص يتعبهم الصبر، لأنهم لا يستطيعون أن يعيشوا ببطء. انهم يجب أن ينفقوا أنفسهم ويسكبوا ذواتهم سكيبًا.

وانه لعمل خيري مبرور، وخدمة نبيلة، أن يُسرِع شخص مثل يثرون، ويتدخل لينصح بتخفيف السرعة، على أن أمثال هؤلاء يندر أن ينجحوا معنا. وقلما ينالون شكرًا من أجل تعبهم معنا. ونحن لا نتعلم إلا إذ نُكِبنا بصدمة عنيفة، لكنهم - على أية حال - قد أدوا لنا خدمة جليلة.

والآن لنتحول من إنسان يحمل اثقال شعبه، ويمرض قلبه بهمومهم - لنتحول منه إلى الكاهن الحقيقي صديق الإنسان الأوحد، الذي تصغي أذنه إلى تيار لا ينقطع من الشكوى والأحزان، والهموم، والإحتياجات، والخطايا. كان كل صناديق البريد في كل العالم تتقبل خطابات موجهة لشخص واحد يجب أن يفتحها بنفسه، ويجيب عليها كلها، وحتى هذا التشبيه لا يكفي لإعطائنا فكرة عما يتحمله ربنا يسوع المسيح الفاتح قلبه ليتقبل كل آلام وهموم واحزان كل البشرية.

دام صبر موسى شهورًا
قليلة فقط، أما صبر الرب
يسوع ذاته باقٍ إلى أن
يتم العمل، فهو الذي لا
يكل ولا يعيا

دام صبر موسى شهورًا قليلة فقط، أما صبر الرب يسوع ذاته باقٍ إلى أن يتم العمل (تث١: ٣١ وأش٦٣: ٩ وأع١٣: ١٨). انه «لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَعْيَا» (أش٤٠: ٢٨) لأن كل صبر وقوة

اللاهوت يمتزج بهما العطف والرقة وبُعد النظر. لكن هل نحن ندرك ادراكًا كاملاً مقدار النفقة التي يتكبدها في كل الأجيال من اجلنا؟ ألا ترى بأن موكب النصر قد توقف في الطريق كما حصل في القديم عندما كان يسوع المجد في طريقه إلى أورشليم، وكانت هافات النصر تدوي قائلة «أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ» فتوقف الموكب على جبل الزيتون لأن الملك كان يبكي؟ إنه «قَادِرٌ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا» ويحس بآلامنا.

قبول موسى للاقتراح يثرون:

لا يمكن أن يرتضي الله بأن تفنى قوة أي واحد من خدامه بسبب كثرة الإجهاد. «لأَنَّهُ يَعْرِفُ جبْلَتَنَا(تكويننا)» تمامًا (مز١٠٣: ١٤) بحيث لا يرتضي أن يحمّل كياننا الضعيف فوق طاقته، ليس هو مسخرًا عنيفًا يسوق أمامه عبيده فوق حدود الطاقة البشرية. قد يكون عبء المسئولية الذي يضعه على أكتافهم ثقيلاً، لكنه ليس ثقيلاً إلى الحد الذي لا يُحتمل. قد تكون المشاغل التي يحددها لكل يوم كثيرة، لكنها ليست أكثر من ساعات العمل. قد تكون النفوس التي أُوكلت اليهم عدة آلاف، لكنها ليست أكثر مما يمكن رعايتها والإهتمام بها. لا يمكن أن يُدعى الخادم لآية مهمة لا يستطيع أن يقول له الله فيها: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي»، «كما يكون يومك هكذا تكون قوتك»* (تث٣٣: ٢٥)

في بعض الأحيان يُخطئ خدام الله إذ يُحمّلون أنفسهم أحمالاً يستطيع أن يقوم بها غيرهم، وربما أفضل، كانت هذه هي الحال مع موسى، فيبدو أنه ظن بأنه هو وحده الذي يستطيع أن يقضي ويدبر ويرتب شئون اسرائيل. ولقد كان لهذا الاحتكار للإدارة نتيجة عكسية. فلقد كان منهكًا لقواه، وكان مملاً للشعب، وكان يعطل إجراء العدل، وكان قبرًا لمواهب كثيرة في الشعب كان يمكن الإنتفاع بها. لذلك

* هذه هي الترجمة الانكليزية، أما ترجمة بيروت فهي هكذا: «كأيامك راحتك»

كانت نصيحة يثرون في وقتها المناسب. وهي أن يختار من الشعب أشخاصًا ذوي قدرة تتوفر فيهم هذه الشروط الثلاثة، وهي أن يكونوا خائفين الله، محبين للحق، مبغضين للكسب الحرام. هؤلاء يتصرفون في القضايا الصغيرة، أما الكبيرة فتقدم إليه.

ولقد قيل إن موسى كان ملومًا إذ رضخ لهذا الاقتراح، فلو أنه وثق في الله لتركزت فيه تلك القوة التي وزعت على أشخاص كثيرين، ولأستمر هو في حمل مسئولية وشرف القضاء وحده بين شعبه، ولاستطاع الله أن يُعينه لإتمام كل العمل الذي وُزّع بين هؤلاء الأشخاص الكثيرين.

ولكن يقينًا أنه لو يتم هذا - وليس لدينا أقل شك في أنه كان ممكنًا أن يتم - لكان من الأفضل أن توزع الخدمة بين عدة أشخاص كما حصل فعلاً. كان الأفضل جدًا أن يقام كل أولئك لإتمام الخدمة من أن يقام شخص واحد لإتمام كل خدمتهم. كان في ذلك حافزًا لمواهبهم، وتشريفًا لهم بتقديمهم على غيرهم في هذه المراكز الهامة، ودفع له الاتصال بالله مباشرة، وإشعار لهم بأنهم قد أصبحوا شُركاء في الخدمة مع موسى، وتحولهم من منتقدين إلى شركاء يعطفون. كان هذا أيضًا تدريبًا لهم واعدادًا لمراكز قد يُطلبَون اليها في المستقبل. جميل جدًا أن يكون المرء عاملاً صالحًا لا يخزى (٢تي٢: ١٥)، والأجمل أن يدعى عمال آخرون ليشتركوا معه في العمل.

كانت هذه السياسة هي التي اتبعها الرسل عندما تكاثرت خدمة الكنيسة على أيديهم، واستنفدت الكثير من وقتهم ومن مجهودهم. لم يعودوا بعد يستطيعون أن يجمعوا بين خدمة الموائد وخدمة الكلمة. وإذ لم يترددوا لحظة في تحديد الناحية التي يتركونها دعوا استفانوس وزملاءه لخدمة الموائد، وأما هم فيواظبون على الصلاة وخدمة الكلمة.

ألا يجد هنا الكثيرون من خدام الله ممن يقرأون هذه الكلمات درسًا لأنفسهم؟ ألسنا نوزع جهودنا في دائرة متسعة جدًا أكثر مما نتحملها؟ ألسنا نحاول أن نحتكر لأنفسنا أشياء كثيرة يمكن أن يقوم بها غيرنا مثلنا؟ أليس خليقًا بمن تميزوا بموهبة قوة الصلاة والبصيرة الروحية أن يتخصصوا في هذه الناحية التي برزوا فيها تاركين الناحية الإدارية والناحية المالية لغيرهم؟ يجب أن ننشغل بالجزء الأهم الذي تميزت به طبيعتنا، وفي نفس الوقت يجب أن لا نهمل النواحي الصغيرة إن لم يوجد من يقوم بها، على أن نكون مستعدين لتسليمها لأشخاص "مقتدرين"، حتى وإن كانوا سوف يتمرنون فيها - في بدء الأمر. بشيء من التضحية بسبب بعض الأخطاء أو التقصير.

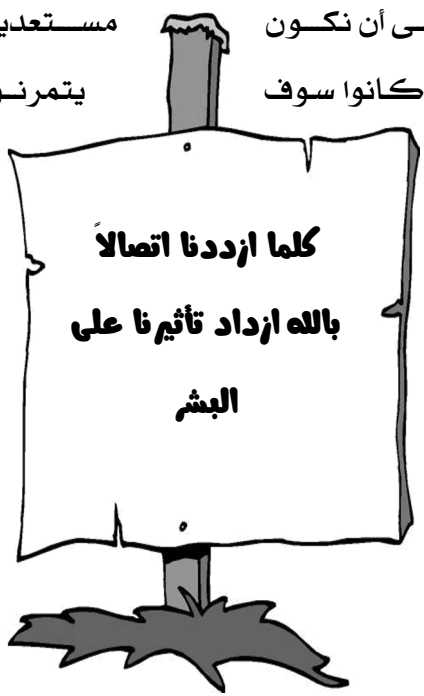

كلما ازددنا اتصالاً بالله ازداد تأثيرنا على البشر. وإن كنت موهوبًا في هذه النواحي الروحية الممتازة، [1]تعمق فيها إلى أقصى حد، فهي نادرة، تاركًا النواحي البسيطة لغيرك ليتمرن عليها.

[1] وهي إشارة إلى اهمية اللامركزية في الإدارة، ورفض الدكتاتورية، أو تركيز السلطة في يد شخص واحد، مما يعوق الخدمة أو العمل، ويُعطل مصالح الشعب، وهو درس هام للخادم، الذي يُركز كل أوجه النشاط الروحي والتعليمي والإداري والمالي في يده وحده.

«وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ» (خر١٩: ١٨)

ومن رفديم ارتحل بنوا إسرائيل ببطء مجتازين طريق البرية العام العظيم الذي يُعرف اليوم باسم وادي الشيخ، وهو أطول وأوسع أودية تلك البرية. ولاشك أن تلك البرية كانت تختلف اختلافًا كبيرًا عن أرض مصر الخصبة المسطحة التي يندر وجود جبال فيها. فعلى جانبيّ من يجتازه كانت جبال شامخة لا أثر فيها للخُضرة أو المياه أو أية مخلوقات حية. وكانت تبدو كأنها مداخل لهيكل عظيم يظللها عمود السحاب.

منذ مدة طويلة كانوا قد تركوا البحر الأحمر الذي ألفوه. ولم تكن هنالك فرصة لتتبع أثرهم إن فكروا في العودة. ولم يكن هنالك شيء يغريهم أو يعطل خطاهم وسط تلك الجبال القفرة الشامخة. كانوا في بعض الأحيان تأخذهم رهبة بسبب جذب الصحراء وعمقها والصمت الرهيب الذي يسودها. لكنهم كانوا يجدون أنفسهم سائرين دوامًا إلى الأمام، كما كانوا يشعرون بمهابة متزايدة كتلك التي تليق بمن يقتربون من الهيكل غير المصنوع بالأيدي، الهيكل المتناهي في العظمة، الذي كانت تلك الطرق خير ما تليق له.

وأخيرًا وصلوه، بعد أن ساروا ثمانية عشر ميلاً بعيدًا عن البحر، وصلوا إلى سهل رملي مسطح طوله ميلان وعرضه نصف ميل، تكثر فيه شجيرات صغيرة من نوع أشجار الاثل. أما الجبال المحيطة بهذا السهل فإن جوانبها منحدرة كأنها مدرج طبيعي، لكن في الجنوب يوجد صف من الصخور الشاهقة المسننة الشديدة الانحدار، وخلفها يوجد

جبل موسى الحافل بشقوق كثيرة، كأنه قد صارع طويلاً مع الزلازل والعواصف والنار. ويدعى صف الصخور هذا (رأس صفصافة)، ولعله هو الجبل الملموس المضطرم بالنار(عب١٢: ١٨). إنه يرتفع كمذبح عظيم قائم على السهل الذي في أسفله، وكل ما يَمثل على قمته يمكن رؤيته بسهولة من أقصى حدود المحلة التي يقيم بها مليونان من الأنفس.

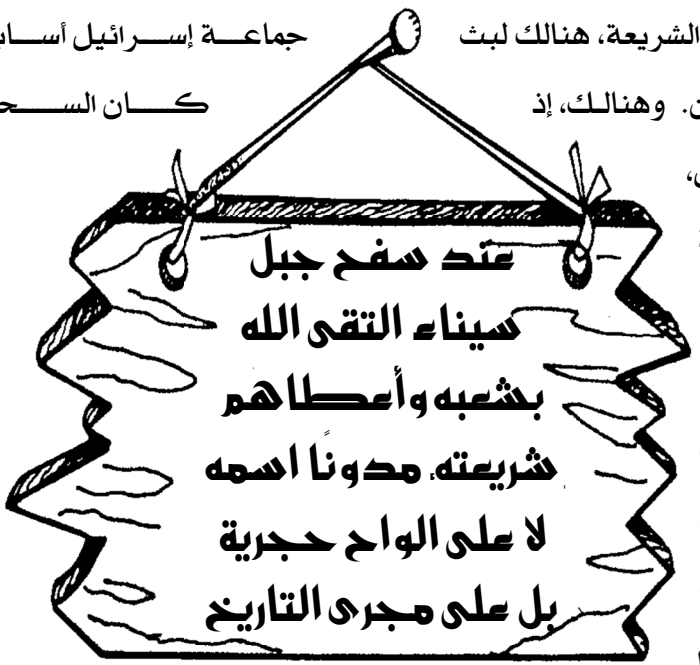

هذا هو منظر إعطاء الشريعة، هنالك لبث جماعة إسرائيل أسابيع طويلة لا يتحركون. وهنالك، إذ كان السحاب يحجب أعالي الجبل، وتنقلت النار من قمة إلى قمة وأحدثت الأصوات الغريبة دويًا في قلب الجبال كأنها تمثل بوق الهتاف هنالك التقى الله بشعبه وأعطاهم شريعته، مدونًا اسمه لا على ألواح حجرية بل على مجرى التاريخ البشري.

١ - قصد الله عند جبل سيناء :

لا يسمح لنا المجال إلا بالتأمل باختصار في هذه الناحية، طالما كان بحثنا يكاد يكون كله محصورًا في التأمل في صفات ذلك القائد العظيم، موسى. لكن في هذه الدراسة، الخاصة بموسى، خليق بنا أن نقف لحظة لنتأمل في مناظر جبل سيناء العجيبة، ومقدار تأثيرها على الشعب وعلى موسى.

في وقت الخروج كان العالم كله تقريبًا غارقًا في العبادة الوثنية، ولعل العبادة الوثنية كانت في بداية الأمر المحصورة في عبادة الشمس والقمر والأجرام السمائية، أو ما عداها من صنع القدرة البشرية والحكمة العالمية. وبعد ذلك ظن البشر أن اللاهوت حل في بعض الناس بل في الحيوانات. فعُملت لها التماثيل لعبادتها. وكانت هذه التماثيل تغطى في بدء الأمر بقماش، وبعد ذلك جردت من كل لباس وأصبحت في حالة عُري تام، ونشأت عنها أقبح الرذائل. « وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ، وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ» (رو١: ٢٢-٢٤).

ولمعالجة طوفان هذه العبادة الوثنية تصرف الله كما حدث وقت طوفان الماء الذي أغرق العالم القديم، لقد بدأ بعائلة واحدة، وأعطاها دروسًا سامية عن نفسه، وعندما تشبعت بهذه الدروس استطاعت أن تنقلها إلى كل العالم.

بينما نرى الأمم الأخرى قامت وحكمت وسقطت، وكان خرابها تامًا كاملاً، ظل نسل ابراهيم كصخرة دائمة لا يبليها عنف الأمواج ولا فعل الأجيال.

ولنتأمل الآن في الخطوات المتتابعة:

الخطوة الأولى:

أختار الله من بين العالم الوثني رجلاً واحدًا، «لأَنِّي دَعَوْتُهُ وَهُوَ وَاحِدٌ» (اش٥١: ٢)، وجه ليتبعه إلى أرض غريبة. واذ أغلق عليه

هناك، وأبعده عن الشعوب المحيطة، بدأ يعلمه عن نفسه، وكما يفعل البستاني إذ يختار نبتة واحدة ويصل بها إلى الكمال، ويجعلها واسطة لتحسين كل الفصيلة، هكذا لم يدخر الله وسعًا مع ذلك العبراني الأول العظيم، حتى إذا ما تبارك يصير بركة لكل الجنس البشري.

الخطوة الثانية:

جعل الله العبرانيين شعبًا واحدًا متماسكًا، لكي يستطيع أن يتقبل تلك الحقائق العظمى التي سوف يؤتمن عليها، ولكي يحتفظ بها كجزء من حياته الوطنية. ولقد تم هذا التماسك برباط انتسابهم الى أبوة واحدة كانوا يفخرون دوامًا بها بعدل، وبرباط مهنة واحدة حفظتهم لأنفسهم كرعاة، بمعزل عن مشاغل حركة النقل في المدن ومشاغل التجارة، وأخيرًا برباط ضغط محنة واحدة ظلت ذكرياتها وذكريات الخلاص العجيب منها ثابتة لا تتغير في كل الأجيال التالية، كما ظلت ألوان آثار بيت عبوديتهم - مصر - ثابتة لا تتغير ثلاثين قرنًا. لقد أتم الله هذا العمل كاملاً، فبينما نرى الأمم الأخرى قامت وحكمت وسقطت، وكان خرابها تامًا كاملاً، ظل نسل ابراهيم كصخرة دائمة لا يبليها عنف الأمواج ولا فعل الأجيال.

الخطوة الثالثة:

أعلن الله وجوده. في وسط عبوديتهم، أتت الأنباء بأن إله آبائهم إله حي، وأنه التقى بواحد منهم في البرية، ودعاه باسمه، ووعده بأن يتدخل لخيرهم. ولعل هذه الأنباء لم تسترعِ إلا انتباهًا ضئيلاً. لقد كان يكفيهم أن يعرفوا أنهم - كالأمم الأخرى - لهم إلههم الحارس، وهذا كل ما أرادوه. وهم لم يعرفوا عنه شيئا.

الخطوة الرابعة:

أظهر الله بالضربات أنه أقوى من آلهة مصر. ألا نتخيل بني إسرائيل إذ قالوا. "إن الهنا عظيم، لقد حوّل الماء إلى دم، لكنه لعله لا يبلغ قوة ايزيس أو أوزوريس أو سيرابيس أو العجل أبيس؟". لكن الآيات التي تمت في آلهة مصر غيرت اعتقادهم نهائيًا.

الخطوة الخامسة:

أثار الله فيهم محبتهم واعترافهم بالجميل. إنك تستطيع أن تفعل كل ما تريد بمن تحب. لكن لكي تأخذ يجب أن تعطي. ولكي تثير المحبة يجب أن تعلنها. ومن أجل هذا ذكرّهم الله بما فعله معهم. «أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ» (ص١٩: ٤).

الخطوة السادسة:

وحرص الله على أن يُعلمهم بعض تلك الصفات العظيمة، التي تؤدي معرفتها إلى تحسُن العلاقات بينه وبين الشعب. ولكي يُتمم قصده هذا استخدم بعض علامات ظاهرية بارزة أتت بنتائج أعظم من أفصح حديث نحو تعليم هذا الشعب الجاهل الشهواني الذي اختاره شعبًا خاصًا لنفسه.

الخطوة السابعة:

وخصص الله موسى ليكون أداة اتصاله بالبشر. «فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى هَا أَنَا آتِ إِلَيْكَ فِي ظَلاَمِ السَّحَابِ لِكَيْ يَسْمَعَ الشَّعْبُ حِينَمَا أَتَكَلَّمُ مَعَكَ، فَيُؤْمِنُوا بِكَ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ» (ع٩) كان مستحيلاً التنبؤ عن الطريق الذي كان سيسلكه الله لإتمام قصده. لكننا إذ نتطلع إلى الخلف لنلقي نظرة على الرواية نستطيع أن نتبين الخطوات التي بها تمم

قصده، كما سيحصل عندما نقف فوق قمة الآكام الدهرية التي منها سوف نرى الطريق التي كان يقودنا فيها كل أيام غربتنا.

(٢) دروس جبل سينا:

١- عظمة الله: كان المنظر الطبيعي عظيمًا جدًا. لكنه ازداد عظمة عندما انكشف عن حوادث اليوم الثالث. ألم تكن هنالك عظمة في الرعود والبروق، في السحابة القاتمة الجاثمة، لأن السحب تكاد تكون غير معروفة في البرية، في البرق الخاطف الذي يخترق أستار الظلام، في صوت بوق يدوي وسط الجبال، وكان هذا الصوت ينخفض أحيانًا ويرتفع أحيانًا اخرى؟ وفي نفس الوقت كانت السحب تمطر وسط هذه المناظر تكلم الله، أكان ممكنًا أن تتحد أية مجموعة أخرى من المناظر الطبيعية لتعطي فكرة أسمى عن عظمة الطبيعة الإلهية؟

٢- روحانية الله: ماذا كان يشبه إلههم؟ أكان ممكنًا أن يتخذ شكل أي شيء في السماء من فوق، أو في الأرض من تحت ، أو في الماء من تحت الأرض؟ أكان ممكنًا أن يروا من أخرجهم من مصر في أي شيء من هذه أو في مجموعها كلها؟ ولكنهم في هذه المناسبة الخالدة عندما «وَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ الْمَحَلَّةِ لِمُلاَقَاةِ اللهِ» (ع١٧) لم ينظروا شبهًا لأي شيء. كان الله هنالك، لكنه تكلم لكن لم يكن هنالك شكل ظاهري تراه العين. كان هذا أمرًا صعب الفهم، إن الصعوبة التي يعانيها القلب البشري، في عبادة مَنْ لا تستطيع العين أن تراه، أو يتصوره العقل، تشهد لها عودة البشر إلى العبادة الوثنية من وقت لآخر منذ أيام العجل الذهبي إلى صلب المسيح. لم يكن أمرًا يسيرًا أن تتعلم البشرية هذا الدرس، بأن الله روح، كما تعلمته من جبل سينا بوضوح.

٣- قداسة الله: وتعلم بنو اسرائيل أيضًا هذا الدرس الأوّلي بكيفية واضحة بعلامات منظوره محسوسة، لقد أقيمت حدود لإبعاد البهائم من أن ترعى بقرب سفح الجبل «كُلُّ مَنْ يَمَسُّ الْجَبَلَ يُقْتَلُ قَتْلاً» (ع١٢). كان يجب غسل كل الملابس استعدادًا لذلك اليوم الثالث، يجب مراعة طهارة القلب والحياة طهارة مطلقة. لم يدع سوى موسى وحده إلى قمة الجبل، حيث اختلط الدخان والنار ووميض البرق معًا، وحيث كان صوت الرعد يغطي صوت البوق، وعندما صعد إلى قمة الجبل أُرسِل ثانيةً إلى سفحه لكي يوصي الشعب وصية صريحة - حتى الكهنة - بأن لا يقتحموا الجبل أو يمسوا طرفه لئلا يهلكهم الله. كل هذه الإجراءات أعطت فكرة واضحة محسوسة عن قداسة الله.

٤- مُلك الله: في تسبحه الهتاف التي رُنمت عند شاطئ البحر الأحمر اعترف الشعب بأن «الرَّبُّ يَمْلِكُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ» (ص١٥: ١٨). لكنهم كانوا لا يزالون في حاجة إلى أن يتعلموا بأن مُلكِه مُطلق. كانت دولة اليهود مملكة ملكها الله. ولقد تبينت حقيقة ملكه في الطريقة التي بها أطاع موسى أوامره. كان منظرًا لا يُنسى قط أن يروا كيف كان موسى قائدهم العظيم يُطيع طاعة عمياء كل الأوامر التي تصدر من خيمة الله. ولعل أسمى ما يُقال عنه أنه كان منفذ إرادة الله، لقد نطق الله نفسه بالوصايا العشر «مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَالسَّحَابِ وَالضَّبَابِ، وَصَوْتٍ عَظِيمٍ» (تث٥: ٢٢). كل فريضة في الناموس، كل عادة أو وصية تتعلق بالحياة المنزلية والحياة المدنية، كل التفاصيل الخاصة بإقامة القدس وتكريس الكهنة. كانت هذه كلها تخضع لإرادة الله الصريحة المعلنة من فمه مباشرة. كان الله - لا موسى - هو الذي صدر عنه كل بند في الناموس. كان هو المُشرِّع الحقيقي، كان هو معطي الشريعة الحقيقي، كان هو الملك الحقيقي. وكان موسى هو الناطق بلسانه، كان هو الوسيط في توصيل أوامر الله لشعبه. كيف كانت واضحة هذه الشهادة لعظمة العلي.

كانت هذه بعض الدروس التي تعلمها بنو إسرائيل عند جبل سيناء.

(٣) موسى على جبل سيناء :

كان يبدو هناك أنه في بيته. وبالرغم من أنه مراعاة لتكوينه الجسمي لم يكن ممكنًا ألا يخاف ويرتعد من مظاهر مجد الله التي لم يتعودها، إلا أن خوفه لم يكن خوف العبيد الذي يجعله يتباعد كما فعل الشعب. لاحظ المراحل المتتابعة لتلك الدالة بينه وبين الله، «وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلَى اللهِ» (ع٣). وبعد أن نقل إلى الشعب كلام الله عاد لينقل إلى الرب كلام الشعب. لأن الكتاب يذكر بأنه «فَانْحَدَرَ مُوسَى مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الشَّعْبِ» (ع١٤). وعندما نزل الرب في رعد ودخان صعد موسى إلى قمة الجبل للمرة الثالثة (ع٢٠). وعندما نطق الله بوصايا الناموس العشر، اقترب موسى إلى الضباب حيث كان الله (ص٢٠: ٢١). وبعد ذلك صدر إليه الأمر بأن يصعد إلى الجبل للمرة الخامسة، ورافقه شيوخ الشعب إلى نقطة معينة، ورافقه يشوع إلى نقطة أبعد.

إن حياة الشركة مع الله لا تُبنى في يوم وليلة، إنها تبدأ بتسليم كل شيء إليه، ساعة بعد ساعة، كما أنها تتدرج إلى أن تصل إلى فترات أطول في شركة عميقة. وهي تجد كمالها وبركتها في الأيام والليالي التي تُقضى في التضرعات والانتظار والمناجاة.

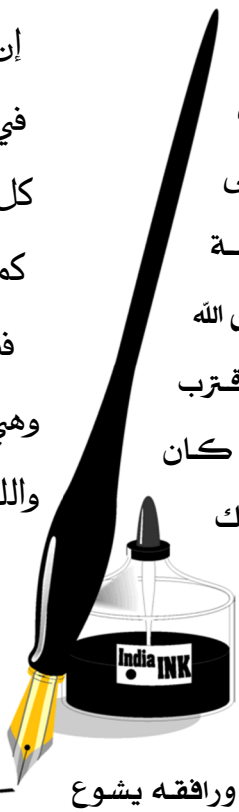

أما هو فدخل وحده السحاب الذي كان مثل نار آكلة على قمة الجبل. وبقي هناك أربعين يومًا وأربعين ليلة ليتسلم تعليمات الله الخاصة بإقامة خيمة الاجتماع (ص٢٤: ١٨). وعاد إلى الله للمرة السادسة يعرض عليه أن يمسح اسمه من كتابه إن كان بذلك يصفح عن ذنب الشعب ويغفر خطيتهم (ص٣٢: ٣٢) لعبادتهم العجل!!.

ثم دُعي للمرة السابعة للصعود إلى الجبل في الصباح حاملاً معه لوحّي حجر، وإذ وقف "في نقرة من الصخرة" اجتاز الله أمامه، وأعلن اسم الله (ص٣٣: ١٨- ٢٣). ولبث هناك فترة اخرى أربعين يومًا وأربعين ليلة، نزل من بعدها إلى الشعب بوجهٍ لامع، دلالة واضحة على أنه كان في شركة عميقة مع الله. وكان «الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا لِوَجْهٍ، كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ» (ص٣٣: ١١). كان لهذه الشركة تأثير نبيل على صفاته. فلم يكن وجهه فقط هو الذي يلمع، بل كانت حياته أيضًا تلمع وتضئ. كانت في صفاته وتصرفاته منذ ذلك الوقت نعمة غير عادية ميزته "كرجل الله" فإن وداعته، وهدوءه ورقته وقت الغضب، وغيرته من أجل اسم الله ومجده، اضطرمت نيرانها في قلبه بكيفية أشد من قبل.

إن حياة الشركة مع الله لا تبنى في يوم وليلة؛ إنها تبدأ بتسليم كل شيء إليه، ساعة بعد ساعة، كما فعل موسى في مصر. لكنها تتدرج إلى أن تصل إلى فترات أطول في شركة عميقة. وهي تجد كمالها وبركتها في الأيام والليالي التي تقضى في التضرعات والانتظار والمناجاة. يا لهذا المَثل الرائع الذي نراه على الجبل، يا لهذه الصرخات التي ارتفعت هناك. يا لهذه الرؤى التي أُعلنت هناك. وكم من الوصايا أُعطيت هناك. أسفًا علينا لأننا بعيدون عن هذا المثل الرائع، أو، على أحسن وضع، نحن نقف مع الشيوخ في نقطة معينة من سفح الجبل. ليت الله يمنحنا بأن نزداد اقترابًا منه، ونرى رُؤى أعمق، ونتبادل الحديث معه فماً لفم، الأمر الذي لا يزال في مقدور أحباء الله.

تأملات هادئة

إدوارد دينيت

«لأنَّ اللهَ... أَشرَقَ فِي قُلُوبِنَا لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ولكِنْ لَنَا هذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ للهِ لاَ مِنَّا»

(٢كو٤: ٦، ٧)

علينا أن نعكس مجد ربنا يسوع! إلا اننا لانستطيع أن نعكس مجده الأدبي؛ حتى ولو في أبسط صوره؛ دون أن ننظر اليه بوجه مكشوف. ونعكس مجده الأدبي بأن نتمثل به في سلوكنا - والقديس الذي يثبّت - وباستمرار عينيه على المسيح هو الذي يسلك تقريبًا كما سلك سيده - واذا كنت ناظرًا مجد الرب، فإنه بكل تأكيد سيظهر ذلك في سلوكي وكلامي.

إن نور مجد المسيح كنز اناره الله في قلوبنا. والمسيح إذ انه حقيقة في قلوبنا، والآنية الأرضية هي اجسدنا. فمن الواضح أنه لكي يشع ذلك النور فينا، يقتضي الأمر أن تُكسر كما حدث في ايام جدعون (قض٧: ١٩- ٢١) فكيف يتم كسرها؟ إن الرب يستخدم الظروف، التجارب، المشاكل، الإضطهادات، التي تقابل قديسيه لكسر الآنية الأرضيه، أي كبح جماح الطبيعه أو الجسد. وإن كان الجسد - قضائيًا - ميؤسًا منه في نظر الله، لا سبيل لمعالجته وغير قابل للتغيير. لذلك فما احرانا أن نلاحظه ونراقبه باستمرار.

وقد يتسائل البعض: ما هي القوة للقيام بذلك العمل؟ ليس من سبيل إلا أن نعاين المسيح في المجد وبذلك نستمد القوة اللازمة. وبينما نعاينه - له المجد - فإن روح الرب يغيرنا أدبيًا إلى صورته. وبذلك يضئ فينا وفيما نعمل.

«لِتكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُمَنْطَقَةً وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً، وَأَنْتمْ مِثْلُ أُنَاسٍ يَنْتظِرُونَ سَيِّدَهُمْ مَتى يَرْجعُ مِنَ الْعُرْسِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقَرَعَ يَفْتحُونَ لهُ لِلْوَقْتِ. طُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لكُمْ: إِنَّهُ يَتمَنْطَقُ وَيُتكِئُهُمْ وَيَتقَدَّمُ وَيَخْدُمُهُمْ......كونُوا أَنْتمْ إِذاً مُسْتعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ» (لو ١٢: ٣٥-٣٧، ٤٠)

هنا نجد الموقف الصحيح للمؤمن أليس كذلك بالنسبة لك - عزيزي المؤمن - فنحن يجب أن ننتظر سيدنا الذي أحبنا ويكون كنزونا في السماء حيث هو - له المجد - فنحن لا ننساه فترة غيابه. فبالرغم من مشغوليتنا، فأحقائنا ممنطقة وسرجنا موقدة ونحن منتظرين سيدنا. فلا جدال بيننا من جهة الوقت ولا يتثبت نظرنا على علامات. فنحن المؤمنون ننتظر المسيح.

ونعلم بأنه - له المجد - حينما مضى إلى السماء؛ أودعنا وعدًا بأن يأخذنا إليه (يو١٤: ٣) ولا نعلم متى سيأتي؛ فوعده بالمجيء سريعًا (رؤ٢٢: ٢٠) لذلك فلا يرتابنا الشك بل قانعين بوعده عالمين «لاَ يَتبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لكِنَّهُ يَتأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ» (٢بط٣: ٩).

إنه أمر معزي، إن كثيرين يسمعون صوته، يؤمنون بشخصه ويشاركوننا في انتظاره.

هل أنت - عزيزي القارئ - تنتظر الرب يسوع؟ أليس ذلك توجهًا صحيحًا لك؟ إنها مسئولية رئيسية لعبيده! إن المؤمن إذ يخلص لسيده فيدين نفسه عن كل ما يعيق انتظارك له يومًا فيومًا.

علمتني التقوى

يارب حبك هذا الحلو يرضيني ... وحنان قلبك دفاقًا يواتيني
وغزير عطفك فياضًا يُحوط بي ... وجميل صوتك ألحان تغنيني
أني أحسُ بقرب منك يعذبُ لي ... يسمو بروحي عن الدنيا ويطويني
أنا سعيد بحب منك قد سطعت ... أشعة منه عند الصليب تفديني
إني لأعرف هذا الحب الذي انهمرت ... هبات نعمته العليا تحييني
إني لأدرك نعماك التي غمرت ... أحشاء عبدك بالإحسان ترويني
في حبك العذب سلوى مهجتي، فرحي ... رضى فؤادي، وموسيقى تحييني
أحببتني سيدي، وعلامَ ليس من سبب ... سوى فؤداك هذا الحلو يسبيني
أحببتني سيدي، إني لمغتبطٌ ... أنا سعيدً بهذا الحب يرضيني
محا خطاياي غسلني وطهرني ... وسدد الدين كل مطالب الدينِ
داوى جراحي وانقذني وألبسني ... ثوب الخلاص، رداء البر يكسوني
وفي ظلامي، أرى أنواره غمرت ... قلبي هُدى، فضياء الحب يشفيني
وحين ضعفي أرى قوته اكتملت ... فنعمة الرب حين الضعف تكفيني
وفي شرودي، وكم نفسي لقد شردت ... تحنو وتبحث في عطف لتثنيني
وفي اضطرابي وحين الريح تعصفُ بي ... أجري إليك تهدي الريح في الحينِ
يالمحبة ربي منك فائضة ... بالمحبة تفديني وتحويني!
هي الدواء إذا ما مهجتي اعتلت ... هي الغذاءُ، أجل، والماءُ يرويني
هي الكساء وما اخلاها مانحةً ... بالحلة الأولى تكسوني وتعليني
والبيت والحضنُ والمأوى وترنيمي ... والنورُ والمجدُ والألحانُ تحييني
علمتني الحبَ والتسبيح والتقوى ... في حبك الماجد بالدم يفديني

السجود المسيحي

«نَسْجُدُ، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْكُمَا» (تك٢٢: ٥)

السجود، كلمة قد تعني انحناء التقدير والاحترام (*bow dawn*) وهو انحناء مظهري شكلي خارجي ولكنـــه يعبّر عن تقديـر وإكرام داخلي، يُقدَم لله (تك١٥) وقد يُقدَم للملوك أو ذوي المناسب.

ولكن السجود الروحي أسمى وأعمق (*warship*) فهو ما نقرأ عنه في تكوين ١٢ وما نرى صورته في سجود مريم من بيت عنيا (يوحنا ١٢)، وما نقرأ عنه في مزمور ٤٥ «فَاضَ قَلْبِي بِكَلاَمٍ صَالِحٍ. مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْشَائِي لِلْمَلِكِ. لِسَانِي قَلَمُ كَاتِبٍ مَاهِرٍ أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ»

وهناك فارق بين الصلاة، والشكر، والسجود: فالصلاة هي نتائج قلب مشغول باحتياجاته، والشكر قلب مشغول ببركاته، أما السجود فهو قلب مشغول بالله ذاته!

إن السجود هو تقديم الإكرام والتوقير اللائقان بالله لما هو عليه في ذاته تبارك اسمه، وما هو عليه بالنسبة للساجدين له!

في مزمور ١٠٣ يبدأ المرنم بالسجود فيقول «بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَكُلَّ مَا فِي بَاطِنِي لِيُبَارِكِ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ» ثم يعقبها بالشكر قائلاً «بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَلاَ تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ»(ع١، ٢) ويعدد بعدها ٧ بركات عظيمة من الله لقديسيه.

يا ليت قلوبنا تكون نقية، وحياتنا تقية، ونفوسنا شبعانة فتفيق قلوبنا قبل السنتنا حمدًا وسجودًا للآب وللأبن لأنه يستحق.